الحــوض

إن من الأمور الغيبية التي يكرم الله بـه نبيـه محمـداً -صـلى اللـه عليـه وسـلم - في يـوم المعاد: الحوض، والـذي بلغت الأحـاديث في إثباتـه ووصـفه مبلـغ التـواتر؛ كمـا قـال بعض العلماء:

مما تواتر حديث من كذب	ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية شفاعة والحـوض	ومسح خفين وهذا بعض

ومن أوصاف هذا الحوض العظيم -الذي نسأل الله أن يسـقينا منـه شـربة هنيئـة مريئـة لا نظمأ بعدها أبداً- أنه واسع الأرجاء، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه عدد نجوم السماء، طوله وعرضه سواء، يستمد مادته من نهر الكـوثر، الذي أعطاه الله لرسوله في الجنة، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

فعن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنه- قال: قـال رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم-: "حوضي مسـيرة شـهر، وزوايـاه سـواء، مـاؤه أبيض من اللبن، وريحـه أطيب من المسـك، وكيزانه كنجوم السماء، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً" 1.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: " إن قــدر حوضي كما بين إيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء" 2..

وعن ثوبان -رضي اللـه عنه- أن رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم- قـال: "إني لَبِعُقـر حوضي أذود الناس لأهـل اليمن أضـرب بعصـاي حـتى يـرفضّ عليهم". فسـئل عن عُرضـه فقال: "من مقامي إلى عمان". وسـئل عن شـرابه فقـال: " أشد بياضـاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغتُّ فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورِق" 3. من ورِق: أي من فضَّة.

وأول الناس وروداً على الحـوض فقـراء المهـاجرين، فعن ثوبـان -رضـي اللـه عنه- مـولى رسول الله عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إنّ حوضي ما بين عدن إلى أيلة، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، أكاويبـه كعـدد نجـوم السـماء، من شـرب منـه لم يظمأ بعدها أبداً، وأول الناس من يرد على الحوض فقراء المهاجرين: الدُّنُس ثياباً، الشُّعث رؤوساً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السُّدَد" قال: فبكى عمـر -رضـي الله عنه- حتى ابتلت لحيته، فقال: "لكـني نكحت المتنعمـات، وفتحت لي أبـواب السـدد، لا جرم أني لا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ، ولا أدهن رأسي حتى تشعث" 4.

وكذلك يرِدُه صحابة رسول الله من الأنصار وغيرهم، وعلى رأسهم الخلفـاء الأربعـة، فعن عبـد اللـه بن زيـد وفي آخـره قولـه للأنصـار: " إنكم سـتلقون بعـدي أثـرة فاصـبروا حـتى تلقوني على الحوض" 5.

ثم بقية المؤمنين الموحدين المتبعين لدين الله والمستقيمين على سنة رسول اللــه إلى يوم القيامة.

وفي المقابل هناك أناس يمنعون من الشرب منـه، وذلـك لأنهم ابتـدعوا وأحـدثوا وغـيروا وبدلوا، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم-: " أنـا فـرطكم على الحـوض، ولـيرفعن إليّ رجـال منكم، حـتى إذا أهـويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" 6.

ولكن يجب أن يعلم أن المقصود بـ" أصحابي" هنا أتباعي من أمتي، ولهـذا نظـائر في كلام السلف، فمثلاً يقول النووي -رحمه الله-: قال أصحابنا- يعني منهم على مذهبنا وطريقتنا،

وليس الـذين صـحبوه وعاشـوا معـه، ويقـال: أصـحاب أبي حنيفـة؛ وليس الـذين لازمـوه وعاصروه وإنما هم الذين أتوا من بعده.

ويحتمل "أصحابي" أي الذين ارتدوا من العرب بعد موته -صلى الله عليه وسلم- من الـذين لم يخالط الإيمان قلوبهم. وليس المقصود بهم أصحابه الـذين عاشـوا معـه، وجاهـدوا في الله حق جهاده ومات رسول الله وهو عنهم راض، بل رضي الله عنهم، واختـارهم لصـحبة نبيه، قال اللـه -تعـالى-: {وَالسَّـابِقُونَ الأَوَّلُـونَ مِنَ الْمُهَـاجِرِينَ وَالأَنصَـارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُـوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَـدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} التوبة(100).

وقال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ يُـوَادُّونَ مَنْ حَـادَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَلَـوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُـوبِهِمُ الْإِيمَـانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} المجادلة (22)ـ وقال -تعـالى-: {جَـزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} البينة (8).

ويوضح ذلك القرطبي -رحمه الله- فيقول: قال علماؤنا -رحمة الله عليهم أجمعين- فكـل من ارتـد عن دين اللـه أو أحـدث فيـه مـا لا يرضـاه اللـه، ولم يـأذن بـه اللـه، فهـو من المطـرودين عن الحـوض، المبعـدين عنـه، وأشـدهم طـرداً من خـالف جماعـة المسـلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والـروافض -عليهم لعـائن الله- على تبـاين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمـة المسـرفون في الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبـائر المسـتخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.

ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفـرة إن كـان التبـديل في الأعمـال ولم يكن في العقائد، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفـون بـه، ثم يقـال لهم سـحقاً، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله -صـلى اللـه عليـه وسـلم- يظهـرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخـذهم بالظـاهر، ثم يكتشـف لهم الغطـاء فيقـول لهم: سـحقاً سحقاً، ولا يُخلَّد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبـه مثقـال حبـة من خـردل من إيمان[7].

وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليماً كثيراً.

---

1 - رواه البخاري ومسلم.
2 - رواه البخاري.
3 - رواه مسلم.
4 - رواه ابن ماجه والترمذي. وصححه الألباني، إلا قول عمر فقد استثنى تصحيحه، وكأنه يشير إلى ضعف ثبوت كلام عمر -رضي الله عنه-.
5 - رواه البخاري ومسلم.
6 - رواه البخاري ومسلم.
7 - (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) ط: دار الريان للتراث. 352-353ص.